البوسنة والهرسك

أولاً: البوسنة حتى مؤتمر برلين 1878م.

مع ضعف الدولة العثمانية بصورة واضحة مع مطلع القرن التاسع عشر، قام تمرد فى عام 1806 فى الحرب بقيادة بازوندا أوغلو بإعلان التمرد ضد الدولة العثمانية، وقاموا بمذابح ضد المسلمين بقيادة تسيرنى، وجورج بتروفيتش، الذى طلب المساعدة من النمسا روسيا على اعتبار أن الروس سلافيون، وتوسعت هذه الحركة ولكن قضت الدولة العثمانية عليها وتم القبض على زعماء التمرد وتم إعدامهم، إلا أن روسيا قامت بتحريض سكان الجبل الأسود على التمرد ضد العثمانيين، وحقق الثوار انتصارًا باحتلال سمندرة وانتهى هذا الأمر بحصول بلاد الصرب على استقلال ذاتى عام 1831، وقامت بعد ذلك فى روسيا جمعيات سلافية تهدف إلى حث المسيحيين التابعين للدولة العثمانية فى كل من البوسنة والهرسك والجبل الأسود والصرب وبلغاريا على التمرد. وقامت بإمدادهم بالسلاح والمال والمهمات بشكل غير رسمى، واستعدت إماراتى الصرب والجبل الأسود لأداء دموى، وفى الجانب الآخر قابل إمبراطور النمسا وفدًا أرسله نصارى البوسنة والهرسك وأعطاهم وعدًا فى حالة التمرد بمساعدتهم ضد المسلمين، من هنا نشأ تمرد الهرسك، وحدث بعد ذلك مصادمات عسكرية وتدفقت المساعدات العسكرية من الخارج، وإزداد الأمر تأزمًا، ولعب الإعلام الروسى دورًا أساسيًا فى الدعاية لهذه المسألة، فى الوقت الذى كان فيه أهل البوسنة والهرسك يذبحون، وكانت الغلبة لمسيحى هذه البلاد عن طريق التأييد الواسع من أوروبا.

وأعلنت صربيا والجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية فى صيف 1876 وعندما هزم العثمانيون الصرب على أرض المعركة تدخلت روسيا فى الصراع إلى جانب صربيا والجبل الأسود، معلنة الحرب على الإمبراطورية سنة 1877، وبحلول ربيع 1878 كانت القوات الروسية قد تقدمت حتى وصلت إلى ضواحى استانبول، وسرعان ما شعرت بريطانيا وفرنسا من خطر احتمال تحقيق الروس لمكاسب على حساب العثمانيين وخاصة بعد فرض الروس للسلام فى سان ستيفانو فى مارس 1878، وهو السلام الذى أوجد بلغاريا يفترض عالميًا أنها دولة ألعوبة فى يد الروس إلى الشرق والجنوب من صربيا. ولكى تقضى القوى العظمى على المكاسب الروسية وتعيد تشكيل توازن القوى فى أوروبا عقدت اجتماعًا فى برلين فى يونيو 1878 ونصت اتفاقية برلين على تقليص حجم بلغاريا، وأعادت الكثير من أراضيها إلى العثمانيين. ولكى تحمى الاتفاقية المصالح النمساوية المجرية فى البلقان، أعطت البوسنة والهرسك للنمسا والمجر كى تحتلها وتديرها، الأمر الذى أصاب الصرب بخيبة أمل مريرة، وهم الذين كانوا يأملون فى ضم البوسنة لهم ومنذ نهاية الحقبة العثمانية 1878 حكمت البوسنة خمس حكومات مختلفة النمسا والمجر (1878 – 1914) ويوغسلافيا الملكية (1914 – 1941) ودولة كرواتيا المستقلة الفاشية (1941- 1945) ويوغسلافيا لاشتراكية (1945- 1991). وجمهورية البوسنة والهرسك التى ولدت ميتة (1992) وفى مؤتمر برلين عام 1878، صدر قرار بإعطاء البوسنة والهرسك إلى النمسا لإدارتها باسم السلطان العثمانى، وفى عام 1908 قررت النمسا ضم الإقليم إلى إمبراطوريتها متعددة الجنسيات والقوميات. ومنذ البداية أعرب الجزء الأكبر من شعب البوسنة والهرسك عن رفضه وعدائه الصريح للامتلاك النمساوى المجرى ولم تنقطع عمليات التمرد والاختطاف والسلب، ويمثل احتلال البوسنة والهرسك نقطة تحول فى تطورها الاقتصادى، وذلك لأنها

تحولت إلى الاقتصاد الرأسمالى الذى لا يمكن تصوره بدون وسائل مواصلات جديدة، ولذا فإن سلطات الاحتلال كرست اهتمامًا خاصًا بإقامة خطوط للسكك الحديدية وشبكة كاملة للمواصلات تربط بين المناجم والمصانع وتشييد الطرق، وتم البدء فى تطوير تلك الفروع الصناعية التى تسمح بالرواج المثمر لرؤوس الأموال النمساوية. وأحدثت هذه التحولات الاقتصادية الهائلة تغيرات مهمة فى المجتمع مما أدى إلى تغيير هيكله. وكانت سلطات الاحتلال تحمى مصالحها الرأسمالية وتمنع البوسنيين من تطوير صناعتهم المحلية والاشتراك فى استغلال الثروات الطبيعية للبلاد.

ثانيًا: وضع البوسنة من الحرب العالمية الأولى حتى عام 1972.

كان لانتصار صربيا فى حروب البلقان (1912 – 1913) أكبر الخطر على الإمبراطورية النمساوية نظرًا للتغيرات التاريخية الضخمة التى أحدثتها هذه الحروب فى شبه جزيرة البلقان، ولتزايد الوعى القومى ازداد نشاط الحركات الوطنية المطالبة بطرد النمسا من البلقان، وكثفت الجمعيات السرية فى البوسنة والهرسك من أعمالها الموجهة ضد النمسا. وقد ظهرت آنذاك حركة "بوسنة الفتاة" وهى حركة ثورية من الشباب تطبق أساليب جديدة من أجل التحرر القومى ومن أجل الوحدة مع صربيا ولا تستخدم إلا أسلوب الاغتيالات. واشترك كثير من أتباع هذه الحركة فى الحروب البلقانية. وفى يونيو 1914 تمكن أحد أبناء البوسنة المنتمين إلى هذه الحركة من اغتيال ولى العهد النمساوى خلال زيارته الرسمية لسراييفو عاصمة البوسنة. وكانت هذه هى الشرارة التى أشعلت الحرب العالمية الأولى وانتهت بانهيار الإمبراطورية النمساوية المجرية وقامت على أنقاضها عدد من الدول القومية، وفى عام 1918 دخلت البوسنة والهرسك فى تشكيل مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين.. وفى عام 1929 اتخذت هذه الدولة لها اسم يوغسلافيا أى وطن السلاف الجنوبيين. وسرعان ما كشفت الطموحات الصربية السابقة فى إقامة دولة صربيا الكبرى التى تجمع كل العناصر السلافية الجنوبية وفرض الصرب فى هذه الدولة الجديدة سيطرتهم المطلقة على بقية القوميات الأمر الذى أدى إلى ظهور حركات مناهضة للصرب بين الكروات والمسلمين وغيرهم من القوميات. وبعد اغتيال ألكسندر ملك يوغسلافيا، غرقت البلاد فى صراعات عرقية لاقى فيها مسلمو البوسنة الكثير من العنف والمعاناة. وظلت هذه الصراعات مستمرة حتى غزو الألمان ليوغسلافيا فى إبريل من عام 1941، وباستسلام يوغسلافيا فى هذه الحرب وقع شعب البوسنة والهرسك تحت الاحتلال الألمانى والإيطالى. ثم دخلت البوسنة، بموافقة المحتل الألمانى فى إطار دولة كرواتيا المستقلة

وفى انتخابات 1945 التى أجريت لانتخاب مجلس الأوقاف فاز المرشحون المحافظون دينيًا المعادون للشيوعية بمناصب رئيسية، مما أدى إلى تزايد احتمال المواجهة. وأوقفت الحكومة تمويل المؤسسات الثقافية الإسلامية، مما أجبر المسلمين على جمع المساهمات التطوعية فى المساجد. ثم حدث تغير فى الأمور وإن لم يكن جذريًا ففى عام 1972، أعادت الحكومة اليوغسلاقية مساجد المسلمين، وبعض مدارسهم، منها مدرسة سراييفو التى حولتها الدولة إلى كلية للرياضيات، وأيضًا مدرسة الغازى الأمير خورشيد، واعترفت يوغسلافيا فى عام 1973 بالمسلمين كقومية خاصة، إلا أنها لم تسمح للمسلمين ببناء أدى مسجد أو جامع، فما كان من المسلمين إلا أن أقاموا بجهودهم الذاتية ثلاثون جامعًا جديدًا، بدون أذن رسمى، ويعترف القانون اليوغسلافى بحرية الأديان وللمسلمين الحرية فى تأدية شعائرهم الدينية.

ثالثًا ميلاد دولة البوسنة الميتة

أخذت الأمور تتطور فى البوسنة فى 6 أبريل 1992 تم اعترفت المجموعة الاقتصادية الأوروبية بالبوسنة كدولة مستقلة، تزامن ذلك مع استمرار الصرب فى عملياتهم التعسفية ضد مسلمى البوسنة ، وكانت هناك توترات بالفعل بين المسلمين البوسنيين وزعماء الكروات، ففى سبتمبر 1992 ظهر تقرير بأن الزعيم الكرواتى ماتى بوبان كان يحض قوات مجلس الدفاع الكرواتى على أن يكفوا عن مساعدة القوات البوسنية، فى محاولاتها كسر الدفاع عن سراييفو وحدثت فى أكتوبر بعض المناوشات بين القوات المسلمة والكرواتية فى ترافنيك كما حدث تبادل مرير من اللوم بين الجانبين حول سقوط يايسه فى أيدى الصرب، وتطور الموقف ففى فبراير 1993 حوصرت القوات المسلمة فى جورنى فاكوف بواسطة قوة جند مجلس الدفاع الكرواتى. على أن شهادة الوفاة النهائية للبوسنة كتبت يوم 22 مايو 1993 فى واشنطن فى اجتماع عقد لوزراء خارجية بريطانيا وروسيا وفرنسا والولايات المتحدة، وتقرر إسقاط الضربات الجوية الموجهة ضد مسلمى البوسنة من الحسبان. وتقرر أن يسمح لبقايا المليونين من مسلمى البوسنة بالتجمع فى عدد مما يدعى بالمناطق الآمنة حيث لا يضمن أحد سلامتهم.